

## الإمام الحسن (عليه السلام) ورعايته لشريحة الفقراء



صحيح أنّه لا يكاد يخلو مجتمع من وجود الفقر والفقراء، الذين لا يستطيعون تأمين احتياجاتهم بجهودهم الذاتية، إمّا لعجز لديهم يمنعهم من العمل والكسب، أو لأنّ طروفاً اجتماعية تحرمهم فرص الحركة والإنتاج، أو تعوق نشاطهم الطبيعي. لكن بعض الظروف الاجتماعية غير العادلة، قد تزيد من رقعة الفقر، وتضاعف عدد الفقراء، وهذا ما حصل في عهد الإمام الحسن (عليه السلام). فمن المعالم البارزة في سيرة الإمام الحسن (عليه السلام)، والصفات المميزة لشخصيته العظيمة، اهتمامه برعاية الفقراء، وجوده وسخاؤه، على المحتاجين والمعوزين، حتى اشتهر بصفة (كريم أهل البيت)، وكلّهم كرماء أسيّاء، لكنّ الظروف الاجتماعية ساعدت على بروز هذه الصفة الجليلة في شخصيته أكثر. هكذا وجد الإمام الحسن (عليه السلام) نفسه في مجتمع كثُر فيه المعوزون وذوو الحاجات، والضمير الإنساني الذي يحمله الإمام، ومعرفته الحقيقية والكاملة بمبادئ الدين ومقاصده، وموعيديّته القيادية كإمام وراع حريص على مصلحة الإسلام والمسلمين، كلّ ذلك يجعله في موقع المهتم والمتصدّي لهذه الحالة الاجتماعية، ولا يمكنه أن يأخذ موقف اللامبالاة، أو الاهتمام الجزئي المحدود، لذا نذر الإمام نفسه، ووظّف إمكاناته وما تحت يده، لمساعدة مَن حوله من فقراء المجتمع.

كما روّي عن تواضعه وكرمه عشرات الروايات، فمن ذلك، أنّه اجتاز على جماعة من الفقراء، وقد جلسوا على التراب يأكلون خبزاً كان معهم، فدعوه إلى مشاركتهم، فجلس معهم وقال (عليه السلام): «إنّ الله لا يحبّ المتكبرين». ولما فرغوا من الأكل دعاهم إلى ضيافته، فأطعهم وكساهم وأغدق عليهم من عطايه، ومرة أخرى، مرّ على فقراء يأكلون، فدعوه إلى مشاركتهم، فنزل عن راحلته وأكل معهم، ثمّ حملهم إلى منزله، فأطعهم وأعطاهم، وقال (عليه السلام): «اليد لهم، لأنّهم لم يجدوا غير ما أطعمني، ونحن نجد ما أعطيناهم». وروى المحدثون عنه أنّه أتاهم رجل في حاجة، فقال (عليه السلام) له: «اكتب حاجتك في رقعة وارفعها إلينا». فكتبها ورفعها إليه، فضايعها له، فقال له بعض جلسائه: ما كان أعظم بركة هذه الرقعة عليه يا بن رسول الله! فقال (عليه السلام): «بركتها علينا أعظم، حيث جعلنا للمعروف أهلاً، أما علمتم أنّ المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة، فأمّا إذا أعطيته بعد مسألة، فإنّ ما أعطيته بما بذل لك من وجهه، وعسى أن يكون بات ليلته متملماً أرقاً، يميل بين اليأس والرجاء، لا يعلم بما يرجع من حاجته؛ أبكآبة الردّ أم بسرور النجح، فيأتيك وفرايشه ترعد، وقلبه

خائف يخفق، فإن قضيت له حاجته فيما بذل من وجهه، فإنَّ ذلك أعظم مما نال من معروفك». وأعملي شاعراً مبلغاً كبيراً من المال، فقال له رجل من جلسائه: سبحان الله، أتعطي شاعراً يعصي الرحمن ويقول البهتان؟ فقال: «يا عبد الله، إنَّ خير ما بذلت من المال، ما وقيت به عرضك، وإنَّ من ابتلاء الخير اتقاء الشر». وروى أن الإمام الحسن (عليه السلام) سُئل: لأي شيء نراك لا ترد سائلاً، وإن كنت على فاقة؟ فقال: «إنِّي أنا سائل، وفيه راغب، وأنا أستحي من أن أكون سائلاً، وأرد سائلاً، وإنَّ الله تعالى عوْدني أن يفيض زعْمه عليّ، وعوْدته أن أفيض زعْمه على الناس، فأخشى إن قطعت عادتي، أن يمنعني عادته».

إنَّ تعاليم الدين واضحه في رفض حالة الفقر ومكافحتها، بالدرجة نفسها لرفض الكفر ومقاومته، فقد روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّه قال: «كاد الفقر أن يكون كفراً». وكان يقول: «الله هم إنِّي أعوذ بك من الكفر والفقر»، فقال رجل: أيعدلان؟ قال: «نعم». وعنده: «الفقر أشد من القتل». والمطلوب ليس فقط تقديم شيء من المساعدة للفقير، وإنَّما إخراجه من حالة الفقر، وهذا ما نلحظه من سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) وسيرة أئمَّة أهل البيت (عليهم السلام)، فإذا ما جاءهم فقير، أعطوه بسخاء، ما يستعين به على تسيير أمور حياته، وما كانوا يعطون الفقراء (قوت لا يموت) على حدَ التعبير الشعبي، أو بالقطارة.. وللقططات التي ذكرناها عن كرم الإمام الحسن (عليه السلام) شاهد على ذلك.